اشعة
من حياة الصادق

الطبعة الثانية
١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠م
جميع الحقوق محفوظة للناشر

❖ عنوان الكتاب: اشعة من حياة الصادق
❖ المؤلف: الامام المجاهد الشيخ محمد الخالصي (طيب الله ثراه)
❖ الناشر: مؤسسة الخلاص الاسلامية
❖ الطبعة الثانية
❖ العدد: ١٠٠٠ نسخة
❖ التصميم والاخراج الفني: علي التميمي

مؤسسة الخلاص الإسلامية
العراق - النجف الأشرف

E-Mail: khalesioffice@gmail.com
Tel: 009647827988877

أشعة من حياة الصادق

سلسلة دينية تاريخية أدبية علمية تلقي ضوءاً على أهم العصور الإسلامية، ذلك هو عـصر الامام جعفر الصادق(ع)، وكانت تصدر كل رأس شهر عن مطبعة دار النشر والتأليف في النجف لسنة ١٩٤٩م.

يتضمن :

لماذا خص الامام جعفر بن محمد بعنوان المذهب الجعفري دون غيره من الأئمة وكلهم على مبدأ واحد؟!

بقلم العلامة المجاهد

الشيخ محمد الخالصي (طاب ثراه)

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)

(السجدة:٢٤)

عُرِف الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام المولود في المدينة المنورة في السابع عشر من شهر ربيع الأول عام ٨٣ للهجرة المقارن ليوم ولادة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بأنه مؤسس «المذهب الجعفري»، بالرغم من انّه يتوسّط عِقد الإمامة الزاهر، فقد سبقه خمسة أئمة من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكلّهم نور واحد، رووا عن رسول الله، ونهلوا العلم أباً عن جد من مَعين أمير المؤمنين عليه السلام؛ الذي قال فيه صاحب الشريعة الخاتمة: «**أنا مدينة العلم وعليّ بابها**»، وقال هو: «**علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألف بابٍ من العلم؛ يُفتح لي من كل بابٍ**

ألف باب»، وقال الصادق عليه السلام: «**وعُلِّمنا عِلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرَوَينا لشيعتنا**».

إذن «لماذا خُصّ الإمام جعفر بن محمد بعنوان المذهب الجعفري دون غيره من الأئمة وكلّهم على مبدأ واحد؟» سؤال وقف عنده الكثيرون، أجاب عليه الشيخ محمد الخالصي؛ ببحث تصدّر مقالات عن «دار النشر والتأليف في النجف» الصادرة في مدينة النجف الأشرف عام ١٩٤٩م، حمل عنوان «أشعة من حياة الصادق».

ونظراً لأهمية مواضيع العدد الخاص «دار النشر والتأليف في النجف»، ترجمهُ الى اللغة الفارسية محمدرضا الأنصاري، وصدر في طهران عام ١٩٥٨م من قبل «دار محمدي للنشر» التي يديرها الشيخ محمدحسين محمدي اردهالي، أحد تلاميذ الإمام الخالصي، بعنوان «پرتوي از چهره درخشان امام صادق (ع)» أي؛ إشراقة من أنوار الإمام الصادق، وأعيد نشره تباعاً.

وبعد مضي سبعة عقود من صدور الطبعة الأولى قررت «مؤسسة الخلاص الإسلامية» إعادة نشر هذا البحث الهامّ في كتاب مستقل، مع المحافظة على هيأته التي صدر فيها في الطبعة الأولى ومقدمة الناشر، ليفيد منه الجيل الجديد، وليتعرّف على أئمته الذين نشروا الدنيا علماً نافعاً، يجلب لصاحبه سعادة الدنيا والآخرة،

وليخرج أبناؤنا من الفراغ المصطنع الذي تحاول الماكنة الإعلامية العالمية جرّهم الى دوّامته.

د. إسلام الدباغ

مدير مركز وثائق الإمام الخالصي

١٩ رجب ١٤٤١هـ

١٣ آذار ٢٠٢٠م

مقدمة الناشر

(الطبعة الأولى)

بسم الله الرحمن الرحيم

كنا – قبل فترة من الزمن – عزمنا على إصدار عدد خاص من مجلة الغري عن كل إمام من ائمة أهل البيت الاثني عشر، ووجهنا كتاباً إلى المفكرين من أبناء البلاد الإسلامية والشرق العربي، نطلب فيه إليهم ان يكتبوا لنا – كل حسب اختصاصه- عن حياة الإمام الصادق سادس أئمة أهل البيت عليهم السلام.

من حيث ان حياة هذا الإمام العظيم متشعبة المناحي يستفيد منها العلماء والفقهاء والأدباء والفنانون وسائر أهل الأفكار المختلفة.

وما لبثت تلك الرسائل (الميمونة) ان رجعت إلى مصدرها الأول بجر الحقائب مليئة بكل زاهر من افانين القول وعجائب الصنعة،

يجد متلمسها بطياتها ما يجد فاحص الأصداف المحشوة بالدرر الغوالي، ولا عجب فإن الكتّاب –كما عرفناهم- جد بارعين في الإجادة كلما رأوا ان في الموضوع لائقية وقابلية تساعدهم على الإجادة فيه، فليسوا مضطرين في موضوع كهذا إلى ان يعصروا عقولهم عصراً ويكلفوا اذواقهم تكليفاً ليجدوا متسعاً في القول، فالقول واسع، والمقول فيه أوسع.

وَقَدْ أَطَالَ ثَنَائى طُولُ لابسِهِ... إنّ الثّنَاءَ عَلى التِّنْبَالِ تِنْبَالُ

وحياة الصادق عليه السلام وما حياة الصادق؟ انما هي دائرة معارف لعصره والعصور التي تلته. يجد فيها الفقيه متعته حتى يكاد يظن ان الصادق عليه السلام استنفد حياته في الفقه، بحيث لم يبق عنده من الوقت ما يبذره في أي ناحية اخرى، ويجد فيها المتكلم المناظر بغيته حتى يقول: قال رئيس المتكلمين جعفر بن محمد... ، ويرى فيها الكيمياوي في المختبر امنيته، كلما ركب وعزل وقطر ونحو وكون وافنى. ويجد فيها الطبيب ضلالته حتى يخيل إليه انه عثر على المسيح مجسماً في الصادق عليه السلام: ويجد فيها المؤرخ، واللغوي، والأديب، والقانوني ما يتوقون له، ويتلهفون للتعرف عليه، فما الصادق عليه السلام بالنسبة إلى هذه العوالم المتباينة إلّا كالقمر في كبد السماء انقشع عنه السحاب في ليلة قمراء فظنه أهل كل بلد انه عندهم مختص بهم، وهو مع ذلك قريب منهم كل القرب بعيد عنهم كل البعد.

نعم، رجعت إلينا تلك الرسائل النجيبة – كما قدمنا- فوجدناها طافحة بكل شائق، مما جعلنا مغتبطين بها كل الاغتباط، حريصين عليها كل الحرص، غير اننا عندما عرضناها جميعاً على بساط واحد، رأيناها تكبر وتكثر عن عدد من المجلة أو عددين أو خمسة، فقلنا: نخرجها كتاباً حافلاً واسعاً، ليكون خير كتاب أخرج للناس في هذا الموضوع، ولا سيما بعد ان رأينا ان ما صدر من الكتب حتى الآن عن هذا الإمام الجليل القدر، العظيم الشأن، الكبير المنزلة، لم يعد ان يكون صورة مشوهة مسيخة لا تكاد تحكي إلا مؤلفها فحسب، فصحت عزيمتنا على ذلك أولاً، وهنا كنت ترى الأيام تمر والشهور تنقضي سراعاً تباعاً، والفكرة لا تزال فكرة، والشجرة لا تنفك بذرة.

وفي هذه الأثناء كان القرّاء المتلهفون المتشوقون يطالبوننا بإلحاح في إنجاز ما وعدناهم به، ونحن نتعلل لهم بما اثر عن ابي زيدون:

أبطأ الدلاء فيضاً املؤها واثقل السحائب مشياً احفلها

واننا مع ذلك معتقدون أن كتاباً واحداً يجمع تلك الشتات المتفرقات وسجلاً منفرداً يحوي تلك المقالات المطولات، سيكون ضخم الحجم في أكثر من ألف وخمسمائة صفحة، وهذا مما يعسر حمله ونقله ككتاب واحد، ويقلل الاستفادة منه كأجزاء متفرقة.

وبينما نحن في هذا أو ذاك إذ عنت لنا فكرة عملية جديدة: هي أن نصدر تلك الفرائد الجميلة في سلسلة انيقة من كتب الجيب يسهل حملها ونقلها والاستفادة منها متكلين على الله، مستمدين العون من رضى القرّاء وتشجيعهم، والله من وراء قصدنا.

وها نحن نضع بين يدي القارئ أول جوهرة من هذا العقد المفصل مراعين في التنسيق غالباً تقارب الموضوع، وقد رأينا اتماماً للفائدة ان نقوم بتعريف شخصي للإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، إمام الكتاب.

اسمه ونسبه :

هو الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين، ابن الإمام الحسين الشهيد، ابن الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام.

لقبه :

ألقابه كثيرة، واشهرها: الصابر، الفاضل، الطاهر، الصادق، وبهذا عرف واشتهر فيما بعد تشخيصاً وتمييزاً.

ولادته:

ولد عليه السلام في يوم الاثنين، السابع عشر من ربيع الأول من سنة ثلاث وثمانين من الهجرة، ويوم ولادته يوافق يوم ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

سماته:

كان عليه السلام متوسط القامة، واضح المحيا، أبيض البشرة، اقنى الانف، أسود الشعر بتجعيد، على خده خال أسود ظاهر.

أشهر أصحابه:

لم يعرف لإمام من الأئمة ما عرف للصادق عليه السلام، من كثرة الأصحاب، فقد احصي اصحابه وتلامذته والرواة عنه، فكانوا أربعة آلاف رجل، منهم: العلماء الأجلاء الثقات: ابان بن تغلب الكوفي- وقد جاءت ترجمته في كتاب كبير عرف بإسمه-، واسحاق بن عمار الصيرفي الكوفي، وابو القاسم بريد بن معاوية العجلي، والشيخ الجليل ثابت بن دينار – ابو حمزة الثمالي – وحريز بن عبد الله السجستاني، وحمران بن أعين الشيباني، وأخوه زرارة بن أعين الشيباني، وأبو محمد صفوان بن مهران الجمال الكوفي.

وعبد الله بن أبي يعفور، والأخوان الجليلان عمران وعبدالله ابنا عيسى بن سعد الأشعري القمي...، وغيرهم ممن ستقرأ تراجمهم مفصلة في أحد أعداد هذه السلسلة الخاص بأولاد الصادق وأصحابه بقلم الاستاذ الكبير صالح الجعفري، مدّرس الادب العربي في ثانوية النجف.

وختاماً نقول: اللهم أجعل هذا كتابنا بيميننا يوم نلقاك، وتقبله منا لوجهك الكريم.

هذا جناى وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

النجف في ١/ ٥/ ١٩٤٩م

شيخ العراقيين

لماذا خص الامام جعفر بن محمد
بعنوان المذهب الجعفري
دون غيره من الأئمة
وكلهم على مبدأ واحد

الإمام العلامة المجاهد
الشيخ محمد الخالصي
رحمه الله تعالى

الإمام الناطق ذو الزمام السابق أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام

هذا عنوان ذكره الإمام الحافظ أبو نعيم، الذي كان يعيش في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس للهجرة في كتابه (حلية الأولياء)، الذي بلغ من الشهرة مبلغاً قلَّ أن يصله كتاب مثله في صدر ترجمة الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، ونحن نريد أن نتكلم عن هذه الصفات التي ذكرها الحافظ ولا نتجاوزها ليتبين للقارئ سر اختصاص الإمام جعفر بن محمد عليه السلام بعنوان المذهب دون غيره من الأئمة عليهم السلام، مع أنهم نور واحد يتبع آخرهم أولهم ويستقي آخرهم من ينبوع أولهم، وكلهم مستودع علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومخزن حكمته؛ وليعلم أن الفقهاء الاربعة الذين قلدهم أكثر طوائف المسلمين ورجعوا اليهم؛ إنما اخذوا العلم والحديث من جعفر بن محمد عليه السلام بواسطة أو بغير واسطة فكانوا تلاميذه وتلاميذ تلاميذه .

ذكر الحافظ، للإمام جعفر بن محمد صفتين، والثالثة هي لفظة الصادق أحد ألقابه التي اشتهر بها، فخرجت بذلك من الوصف الى الاسم، فنحن لا نتكلم عنها، وإنما نتكلم عن الصفتين الأخيرتين؛ أعني صفة الناطق، وذي الزمام السابق.

أما الصفة الأولى؛ وهي الناطق فهي صفة اختص بها الصادق من بين الائمة عليهم السلام لأسباب قدرها الله له ولم يشأ تقديرها لغيره: ان جده علي بن أبي طالب عليه السلام أعلم علماء الائمة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يشك في ذلك أحد من المسلمين، حتى قال الصدّيق ما صح عنه: أقيلوني، فلست بخيركم وعليٌ فيكم. وقال الفاروق: لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن عليّ. ولسائر الصحابة تصريحات مثل ذلك وفوقه والأصل فيها قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكفى: أقضاكم علي.

وقد ظهر منه عليه السلام من العلوم ما لم يسبق إليها سابق، ولا يلحقه فيها لاحق، ولكن علياً أمير المؤمنين بلي من اهل البغض والشنآن بما لم يبل به نبي ولا وصي نبي، فكان صدره على سعته يضيق بما أودعه الله فيه من العلم، اذ لم يجد له مستودعاً ألا ابنيه السبطين الحسنين عليهما السلام، وكان ربما طفح ورشحت منه رشحات لقلة الرواة وكثرة الحاسدين الطغاة،

فيأخذ منه قليل من أصحابه، وهذا ما ملأ الدنيا علماً الى يوم القيامة، وكان ربما يجري على لسانه التذمر من عدم وجدان من يأخذ العلم عنه، فيقول: أن ههنا لعلماً جماً لو اصبت له حملة؛ ويشير الى صدره. ولولا ذلك لما بقي في العالم أمر يجهل ولا انجابت ظلمات الجهل بفتح أبواب العلم التي اشار إليه علي عليه السلام فقال: علمني رسول الله ألف باب من العلم، ينفتح لي من كل باب ألف باب، فلو ترك الناكثون والمارقون والقاسطون تلك الأبواب مفتوحة للناس لأغناهم، وفي علم رسول الله غنى عما في أيدي الناس، ولكن حب الرياسة وما غنمٌ تفرق رعاتها بأضر على الدين من حب الرياسة سد تلك الأبواب في وجوه أهل العالم، حتى تاهوا في ظلمات الجهالة وتردوا في حيرة الضلالة .

والسبطان الحسنان ريحانتا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيدا شباب أهل الجنة خصهما الله بالبلاء من دون اوليائه المقربين وعباده الصالحين، حتى كَمَّ فمهما، وقطع لسانهما معاوية وابنه يزيد وأتباعهما، فلم يجدا مجالاً فسيحاً لبث العلوم النبوية، وبقيت مخزونة في عيبة العلوم المحمدية لدى خازن علم الرسالة السجاد زين العابدين عليه السلام، وقيود الأسر وسياط الظلم

اليزيدي وسياج حيف بني مروان كانت سداً حائلاً بين علوم السجاد وأهل العالم، حتى كان يسوقه حرصه على بث علوم القرآن وآيات الرحمن إلى زوايا المساجد، وخلف اسطواناتها مبتهلاً الى الله ناشراً علومه وأحكامه بين القنوت والدعاء؛ والصلوات والتسبيحات والتعقيبات، ومن ذلك (**الصحيفة السجادية**)؛ التي هي مجموعة العلوم الالهية والنظرية، والقوانين الطبيعية، والأحكام الشرعية، ولم يكن يتسنى له أن يلقي دروساً أو يجتمع إليه تلاميذ لئلا يأخذه بنو مروان بما أخذوا به أباه.

ودام على ذلك حتى اختاره الله، وأودع أسرار علمه باقر العلوم ابنه، الذي سلّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه، وقال: أنه يبقر العلوم بقراً، فكان كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن الباقر عليه السلام نشـر من العلوم أكثر مما استطاع آباؤه عليهم السلام بثه؛ لأن الدولة المروانية كان قد اشغلها الترف، ونشوب الفتن، عن أن تتعرض للباقر عليه السلام بمثل الشدة التي كان فيها أبوه؛ إلا أن سلطان بني مروان لم يهن أمره، ولم تتضعضع أركانه، كما حدث في زمان الصادق، فكان صبية بني مروان يوجهون الأذى من حين لآخر إلى الباقر عليه السلام وينقلونه من المدينة إلى

الشام، فلم تكن يداه مبسوطتين كل البسط، ولم ينشـر من العلوم إلاّ ما يناسب عصـره وخلفاء زمانه، وأودع باقيه وهو الأكثر مستودع العلوم النبوية جعفر بن محمد الصادق صلوات الله عليه.

وفي زمانه انتشرت دعوة بني العباس، وحدث قيام محمد بن علي وابنيه السفاح والمنصور لأمر الخلافة، وتداعت اركان دولة بني مروان، وزال سلطانها، وقامت دعاية الحسنيين، واضطربت أرجاء البلاد الإسلامية، فلم تسلم بلدة من فتنة؛ ووجد جعفر بن محمد الصادقعليه السلام فرصة لبث العلوم ونشـرها، فبينما كانت رؤوس المسلمين وكلاكلهم تتطاحن بغية الخلافة كان جعفر بن محمدعليه السلام؛ وهو أحق بها؛ منعزلاً منفرداً؛ لبث العلوم ونشـرها، ولم يعارضه أحد مدة اضطراب البلاد؛ وهي مدة تستوعب أكثر سني عمره الشريف.

قال عبد الكريم الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) صفحة ١٢٥، طبع لا يبزك، في وصف الصادق عليه السلام: "وهو ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهدٍ بالغٍ في الدنيا، وورع تام عن الشهوات، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد

الشيعة المنتمين إليه، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم، ثم دخل العراق، وأقام بها مدة ما تعرّض للإمامة قط؛ ولا نازع أحداً في الخلافة، ويغرق في بحر المعرفة، لم يطمع في شط، ومن تعلى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط. وقيل: من أنس بالله توحش عن الناس، ومن استأنس بغير الله نهيه الوسواس. وهو من جانب الأب ينتسب إلى شجرة النبوة، ومن جانب الأم إلى أبي بكر.

وقوله: يفيد الشيعة المنتمين إليه .. فيه نظر فإن الإمام الصادق عليه السلام لم يخص بالعلم أحداً، ولم يبخل به على أحدٍ مخالف له، ولو كان من ألدّ أعدائه، كما سيتضح ذلك عند ذكر تلاميذه ومن روى عنه.

سنحت له الفرصة، وتشاغل أبناء الدنيا بحطامها عن أن يتعرضوا له بسوء، وبث العلم على المخالف والمؤالف والصديق والعدو بلا فرق، وفي أواخر أيام حياته استتب الأمر لبني العباس وقَوِيَ سلطانهم، ولم يسمحوا لأولاد الصادق ببث العلوم حسداً وحِقداً، مع أن أولاده كان لهم من العلم ما كان له، هذا أبو الحسن موسى بن جعفر الصادق كان يلقب بالعالم، وهو لقبه المختص به حقاً؛ ولكن قوة

شكيمة الرشيد؛ وحرصه على الخلافة، وشدة جبروته ساقته إلى حبس ابن عمه موسى حتى مات في السجن مسموماً، ولم يدعه يفيد الناس من علومه.

و(الرضا) وإن كان انتخبه المأمون لولاية العهد، كان يقيده ولا يدعه يتكلم إلا بما يريده المأمون وفيه نفع لقوة سلطانه، مثل مناظرة رؤساء العلماء من اليهود والمجوس والنصارى والطبيعيين والدهريين والقدريين والمرجئة والمفوضة وغيرهم، ومثل رد الشبهات التي نشأت من ترجمة كتب الفلاسفة والفلكيين والمتطببين من اليونانية والفارسية والهندية إلى العربية، فإن زمان الرضا كان أشبه بهذا الزمان حيث انتشرت العلوم المادية، ومن أجلها وقع قصيروا النظر في شبهات اتخذها أهل الجهل دليلاً لنقض الدين، فزيفها الإمام الرضا وبيّن بأوضح بيان أن العلوم قوام الدين، وتجد كثيراً من ذلك في كتاب عيون أخبار الرضا، وكتاب علل الشرائع للصدوق؛ الذي كان يعيش بين القرنين الثالث والرابع للهجرة؛ وكتاب الرسالة الذهبية في الطب؛ الذي صنفه الإمام الرضا للمأمون؛ ومتفرقات أخباره المروية في كتب الحديث، وبذلك فتح الرضا أبواب الاستدلال بالعلوم

المادية على الدين الإسلامي، فقويت شوكة الدين، ونكص دعاة المضلين على أعقابهم خاسئين ...

ولو أن علماء الدين في هذا الزمان اجالوا الفكر في العلوم المادية المنتشرة اليوم واقتدوا بالإمام الرضا عليه السلام فجرّدوا منها ألوف ألوف الأدلة القاطعة على ما جاء في الدين الإسلامي من العقائد الحقة والشرائع والسنن والأنظمة والقوانين ومختلفات العلوم المادية والإلهية، لوجدوا مجالاً متسعاً لدعوة الإسلام، ولما وجد في الأرض غير مسلم إلّا من طبع على قلبه.

وحقّت عليه كلمة العذاب، إن الذين حقّت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون؛ **(وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ)** **(يونس:٩٧)**. ومما يذكر بهذا الصدد الإمام الرضا عليه السلام استخدام العلوم المادية للدين، ولم ينزله عن منزلته الرفيعة، ولم يحط قدره، فجعل العلوم المادية آية من آياته الكثيرة، وقطرة من بحر فوائده العميمة، ولم يحمل الدين على العلوم المادية، بل حملها عليه، فجعله الاصل، وجعلها فرعاً من فروعه، فبقيت للدين كرامته السامية، وهذا على العكس مما نجده اليوم من دعاة الدين في مصر وبعض البلاد الاسلامية

الأخرى، فإن مصادر آرائهم على الأغلب مصادر افرنجية مزيّفة دوّنها هوى المستشـرقين وجعلوا من أجلها الدين آلة من آلات العلوم المادية، وصغروا قدره وحطُوه عن منزلته، حتى إذا أرادوا البحث مثلاً عن الصلاة وفوائدها جعلوها رياضة بدنيّة، وأغفلوا ما فيها من الفوائد العالية والسمو بالإنسان إلى اقـصى درجات الملك والملكوت، وما ذكره الله فيها من أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر، وأنها النظام الأتم، والسياج المحكم، ومعراج كل مؤمن، وقربان كل تقي، وأنها خير موضوع، وغير ذلك من الفوائد والمصالح التي يبلغ الإنسان بها أقـصى ذروة الإنسانية في شخصياته واجتماعياته، والرياضة البدنيّة في جنب تلك المصالح شيء لا يذكر؛ هذا ما ننتقده على كل كتّاب مصـر في هذا العصر، ولسنا في هذه الرسالة بصدد بسط المقال في هذا الموضوع، فإن له مقاماً آخر وتكفي هنا الإشارة.

وشأن الأئمة بعد الرضا مع الخلفاء شأنه مع المأمون، فالجواد كان في قيد المعتصم، والهادي في حصار المتوكل، والعسكري في رقابة المعتمد، لا يستطيعون ذكر شيء من العلوم ألا ما يقوى به السلطان، ولم تنبسط لهم الأمور كما

انبسطت للإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فلذلك اختص بلقب ناطق؛ مع انهم كلهم لسان صدقٍ صدعوا بالحق، وعِلْمُهُم جميعاً يستقى من ينبوع واحد، وهم فروع شجرة النبوة، ولديهم باكورتها الشهية، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعدن العلم، وأهل بيت الوحي.

العلوم التي تكلم بها الناطق

الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

لما وجد مجالاً لبث الحكمة ونشر العلم لم يقتصر على الحديث والتفسير والفقه وجوامع التوحيد، بل نظر إلى الموجودات بأسرِها في مرآة الوحي النبوي والنور الإلهي نظرة لم يسبقه إليها أفلاطون وأرسطو طاليس، ولا سقراط، ولا بطليموس، ولا دوجانس، ولا جالينوس، ولم يلحقه فيها ديكارت، ولا سيمون، ولا غاليلو، ولا نيوتن، ولا ميشل، ولا غيرهم من أقطاب العلوم، فإن المتقدمين والمتأخرين يتخبطون في طخية عشواء، ومفازة ظلماء من المادة الصمّاء البكمّاء، وهو عليه السلام ينظر بنور الله الجلي، وكتابه العلي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

نظر عليه السلام إلى الموجودات بأسرها فقسّمها إلى أنواع، وتكّلم عن كل نوع باستقلاله، وأفرد لكل علم موضوعاً يجمع شتات مسائله، أن الفقه والتفسير والإلهيات وعلل الشـرائع وأحكامها والتوحيد الإلهي وهو أسماها وتهذيب الإنسان في شخصه ومجتمعه تلك العلوم التي تظهر في العمل الصالح هي الغرض الاسمى من النبوة، واسرار الطبيعة، وعجائب الكون، وأطوار النباتات، وتطور مختلف أنواع الحيوانات، وتحليل الأجسام المادية وتركيبها، والعلم وغرائبه، وتركيب الإنسان ومنافع أعضائه وتحولات مزاجه، وكل ما في الكون إنما هو من آيات التوحيد ودلائل الحكمة والتدبير الإلهي، وقد بحث عنها الإمام الصادق عليه السلام وعلّمها تلامذته وبقيت إلى اليوم بحراً زاخراً يستقي العلماء صفوه والفضل في ذلك كله بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم للإمام الصادق الذي قال فيه ابن خلكان في وفيات الأعيان (ص ١٣٠) طبع مصر عند ترجمته عليه السلام ما نصه: "وكان من سادات أهل البيت، ولقّب بالصادق لصدقه في مقالته، وفضله أشهر من ان يذكر، وله كلام في صنعة الكيمياء، ومن تلاميذه أبو موسى جابر بن حيّان الصوفي الطرسوسي الذي قد ألّف كتاباً يشتمل على ألف ورقة

تتضمن رسائل جعفر الصادقعليه السلام وهي خمسمائة رسالة". انتهى.

وقد وقع بأيدينا كثير من تلك الرسائل، وهي تبحث عن الكيمياء، وليست (كما يظن بعض أتباع جابر بن حيّان) عبارة عن تبديل بعض الفلزات بالذهب أو الفضة، وإنما هي عبارة عن تحليل الأجسام وتركيبها نباتية كانت أو معدنية أو حيوانية وإرجاعها إلى أصل واحد كما سيتضح ذلك.

وقال العلامة المفضال فريد وجدي في دائرة معارف القرن الرابع عشر للهجرة في الجزء الأول الصفحة ٤٣٢/ ٣٣ عند ذكر كلمة اقراباذين ما نصه: هي قانون الصيدلة وتركيب العلاجات على نسب مضبوطة، وقد ثبت بشهادة الافرنج أن العرب هم أفضل من وصل في الصيدلة إلى الصورة العصرية المنتظمة، وهم أول من أنشأ حوانيت خاصة سمّوها الصيدلة، وقد برعوا في استكشاف النباتات ودرس خصائصها، وساعدهم على ذلك اتساع مملكتهم وتنوع نباتاتها، لمّا انبعث فيهم الروح الإسلامية، ونهضوا تلك النهضة المدهشة، قاموا أولاً بترجمة ما فيها من الكتب القديمة، فترجم خالد بن يزيد في أوائل القرن الثاني كتاباً في

الكيمياء عن مدرسة الاسكندرية، فأخذ عنه هذا العلم جعفر الصادق عليه السلام (ت سنة ١٤٠هـ)، ثم تلاه جابر ابن حيّان وغيره حتى صار هذا القسم حافلاً بالعلماء، فهو مِثل سائر الفروع العلميّة الاخرى، وقد ثبت الآن انهم كما كانوا أول من كوّن الأقراباذين العصري والصيدليات على الطراز المعروف الآن، كانوا أول من اكتشف حمض النتريك، وحمض الأزتيك، وحمض الكبريتك، ونترات الفضة (حجر جهنم)، والبوتاسا، واوكسيد الزئبق، ونترات البوتاسا، وكبريتات الحديد، والكحول، والبورق، وروح النوشادر، وملح النوشادر، والماء الملكي (حمض الأزتيك مع حمض الكلورايديك)، وكلوريد الزئبق (السليماني)، والبورق، والزرنيخ، وهم الذين عرفوا التذويب، والتبلور، والترشيح، والتقطير، قال سديو المؤرخ الافرنجي الشهير في كتابه تاريخ العرب ما معناه وهو ملخص من ترجمة لكتبه طبعت في مصر: (قد ادى انشاء الصيدليات، وتكوين الاقراباذين، وهما أول ما يلزم لعلم الطب؛ إلى الاشتغال بعلم الكيمياء، الذي اشتغل به العرب منذ البدء في مدينتهم، وكان هذا الفن ناصراً على التحليل والتركيب، لا تركيب الذهب والفضة، وقد

أوصلت العمليات الهرمسية وهي تركيب الملاغم والمخاليط المعدنية التي عملت في المعادن المطروقة إلى ابعد الاستكشاف المعدنية، وعرف تركيب حمض الكبريتيك والماء المعشر والماء الملكي وتحضير الزئبق وتخمير الجواهر الكحولية وغير ذلك كما تدل عليه مؤلفات أبي موسى جعفر الذي اشتهر في القرن الثامن من الميلاد (اي قبل ألف سنة) والفخر الرازي (هذا اشتباه وصحيحه محمد بن زكريا الرازي) ت سنة ٩١٣ من الميلاد، ثم قال: (ولِسِعَة إِطلاع العرب على مزايا النباتات ادخلوا في الادوية أنواعا جَهِل اليونانيون خواصها، كالزنبقة، وشحم التمر الهندي، وخيار الشنبر، وورق السناء، والاصليليجات، والكافور، وعرفوا أنواع الطيب الذكية كجوز الطيب، والقرنفل، وغرسوا عدّة أشجار من ذوات الزهور المذكرة والمؤنثة، وعرفوا ما يتعلق بإخصاب اعضاء الذكورة والانوثة فيها، ورأوا استعمال السكر في الطب افضل من استعمال القدماء العسل، فأدخلوه في مركبات كثيرة كشراب الورد، إلى أن قال ... وبالجملة بذل العرب صادق الهمة والعزيمة في تعلم وتعليم جميع فروع العلوم المتعلقة بالمواليد الطبيعية) انتهى.

والذي يناسب ذكره في هذا المقام هو أن صاحب دائرة المعارف أخذ هذا الحديث من منابع افرنجية ولم ينظر فيه، ولو أنه تتبع الآثار الإسلامية لعلم أن جعفر بن محمدعليه السلام لم يأخذ الكيمياء وفن الصيدلة من خالد بن يزيد، إذ أن خالد بن يزيد كان مشغوفاً بحب أهل البيت، وكان تلميذاً للسجّاد والباقرعليهما السلام ، وقد أخذ العلم عنهما، والصادق عليه السلام فرع شجرة النبوة وإنما أتاه العلم من آبائه وكلهم لم يستقوا صفو العلم إلاّ من ينبوع الرسالة وبحر الوحي الزاخر.

ولو أن صاحب دائرة المعارف، وغيره من كتّاب مصر ضموا إلى كتب المستشرقين الافرنج كتب قدماء المسلمين لعَلِمُوا أنَّ الكيمياء في عصر الصادق كانت أوسع مما ذكره علماء الافرنج، وانهم اكتشفوا بدلالة الوحي وإرشاد الكتاب الكريم والسنة النبوية أصول جميع العلوم الدائرة اليوم.

هذا جعفر بن محمد الصادقعليه السلام يسأله راوية عن أي شيء أول خلقه الله، فيجيب بقوله على ما ذكره ورواه المجلسي في أوائل الجزء الرابع عشر من كتاب بحار الأنوار (كتاب السماء والعالم) ؛ إن أول ما خلق الله الشيء الذي خلق منه الأشياء فبيّن بوضوح أن الأجسام المادية كلّها خلقت من أصل

واحد، وإنما الاختلاف في كيفيات وكمية الذرات، وبذلك اختلفت الأجسام والموجودات، وهذا الأصل؛ هو أصل العلوم المادية بأسرها طبيعية وكيميائية وفلكية ومعدنية وحيوانية ونباتية وفيزيولوجية وطبية وغيرها؛ على هذا الأصل بنيت قواعد الصيدلة ودوّنت الاقرباذينات، وهذا الأصل مأخوذ من القرآن الكريم إذ يقول تعالى اسمه: **(وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الذاريات:٤٩)**، فيوضح ما في كُمون الذرات من القوى وانقسامها إلى زوجين (إلكترون وبروتون)، ويأتي علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة ذعلب المروية في كتاب أصول الكافي للكليني، الذي كان يعيش بين القرنين الثالث والرابع للهجرة فيوضح كيفية الزوجين إيضاحاً كاملاً، ويذكر أصول المادية الدائرة اليوم بأسرها، وفوق ذلك مما لم يكتشف بعد عند تفسير هذه الآية ويجعلها كلها آية للتوحيد والقدرة السر مدية الإلهية، ويأتي بعده الإمام الرضا عليه السلام في خطبته التي ألقاها في مجلس المأمون عند البيعة له بولاية العهد، والتي رواها الصدوق في كتاب عيون اخبار الرضا عليه السلام، فيوضح أصول العلوم المادية، ويفسر الآية الكريمة ببسط أوسع مما في خطبة جده، مما

يندهش له عالم العلم والصنعة هذا اليوم، وحبذا لو اطلع أهله على ما في روايات أهل البيت من العلوم العجيبة.

ويكفي أنموذجاً لها كتاب بحار الأنوار (السماء والعالم) الذي أشرنا إليه في رسائل ابن حيان، ولو اطلّع إخواننا المصريون على هذا الكتاب وأمثاله لما اقتصروا على ما كتبه علماء الإفرنج في أحوال الصادق عليه السلام ولاتسعت خبرتهم بعلومه، ولعلموا أنه تكلم في الكيمياء وفي الطب والصيدلة والنبات والمعدن والفلك والجبال والبحار والهواء والحوادث الكونية والمظاهر الطبيعية وجميع العلوم بأسرها بما لم تصل إليه أفكار العلماء إلى هذا اليوم، بل وإلى يوم القيامة.

إن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام هو الذي كتب الجفر، قال ابن قتيبة في كتابه أدب الكاتب: أنه عليه السلام كتب الجفر، فأودعه ما يحتاجه الناس إلى يوم القيامة؛ والجفر جلد الجدي، وكانوا يستعملونه مكان القرطاس ذلك اليوم، وفي ذلك يقول أبو العلاء المعري:

لقد عجبوا لآل البيت لما أتاهم علمهم فِي جلدِ جفر
ومرآة المنجّم وهى صغرى تريه كل عامرةٍ وقفر

فشبّه جفر الإمام واحتوائه على جميع العلوم مع صغره بمرآة المنجم (صفحة الاسطرلاب)، فإنها مع صغرها تري المنجم كل عامرة وقفر في الأرض والسماء.

والإمام الصادق مع سعة تعليمه جميع العلوم المادية كان أكثر همه مصروفاً إلى تعليم العلوم الإلهية من توحيد وتفسير وحديث وفقه وأخلاق وغيرها، والروايات عنه في العلوم الإلهية أضعاف أضعاف الروايات عنه في العلوم المادية.

وكم من خبرٍ عن غيبٍ رُوِي عنه، فدل على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أودعه بواسطة آبائه من العلوم ما ينكشف له به المخبآت وتظهر المغيبات، قال الشهرستاني في كتابه: (الملل والنحل) ص١١٧ طبع لايبزيك: ولما قُتِل زيد بن علي وصُلِب، قام بالإمامة بعده يحيى بن زيد، ومضى إلى خراسان، واجتمعت عليه جماعة كثيرة، وقد وصل إليه خبره من الصادق جعفر بن محمد عليه السلام بأنه يُقتل كما قُتِل أبوه، ويُصلَب كما صُلِب أبوه، وقد جرى عليه الأمر كما أُخبِر.

ولما بويع محمد بن عبد الله المحض بالخلافة، ودعي الصادق إلى بيعته، قال: أن هذا الأمر لا يتم له، وأنه وأخاه ابراهيم يُقتلان، وكان السفاح والمنصور قد بايعا محمداً

بالخلافة قبل قيام أبي مسلم بخراسان، فقيل للصادق: ومن يقتلهما؟، فقال: صاحب القباء الأصفر وأشار إلى المنصور، وكان أهل عصـره يعرفون صدقه في خبر الغيب، حتى أن إبراهيم بن عبد الله لما قصد الكوفة بجيشه الجرار ولم يكن للمنصور في الكوفة جيش يستطيع المقاومة، وأيقن الناس بغلبة ابراهيم صرخ المنصور وقال: اين قول صادقهم؟ يعني أن الصادق هو الصادق في خبره وهو القائل: أن ابراهيم يُغلب ويُقتل وإن جيشه الآن قد غُلِب وأوشك أن يستولي على الكوفة وتتم الخلافة له ولأخيه وهذا على عكس ما أخبر به الصادق، فهل يجوز أن يكون سير الحوادث على خلاف ما أخبر به الصادق؟، متعجباً من ذلك إذ لم يعهد من الصادق أنه أخطأ في خبر غيب، فبينما هو بين العجب والاضطراب واليأس لما يشاهده من غلبة جند ابراهيم، والرجاء لما يعتقده في صدق خبر الصادق إذ أُتِيح لإبراهيم سهم لم يعرف راميه فقتل من ذلك السهم، وتفرق جنده واستتب الأمر للمنصور، وقتل بعد ذلك محمداً أخا ابراهيم، وتحقق صدق خبر الصادق عليه السلام.

وأخباره بالغيب كثيرة، لو أردنا سرد القليل منها لضاق بنا المجال، ولخرجنا عن موضوع هذه الرسالة.

وجملة القول أن العلوم الإلهية بأوسع مما كانت في الأديان السابقة وعند الفلاسفة الأقدمين والعلوم المادية بأوسع مما اشتهر في هذا العصر بين المكتشفين والصناع، كانت قد رُويت عن الصادق عليه السلام فاهملها المسلمون، ولو أنهم اتبعوها لما تركوا مجالاً لمتفلسف ولا لمتطبب ولا لمكتشف ولا لمخترع في هذا العصر وإلى يوم القيامة، ولساد المسلمون جميع الأمم، بل لما بقي على وجه الأرض غير مسلم.

ومما يجب أن ينتبه له إخواننا كتّاب مصر وعلماؤها هو أن العظمة العلمية هي نور من الله شع بطريق الوحي على رسول الله خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم واستودعه عليّاً وأهل بيته، وسنحت الفرصة للصادق عليه السلام وحده أن يملأ العالم بقبسات من ذلك النور الإلهي، وليست هذه العلوم مقتبسة من العرب ولا من غيرهم، ولم يختص بها قوم دون قوم، إنما هي أشعّة من نور محمد الذي بُعِث إلى جميع الأمم وأهل العالم فيها سواء، بلا فرق بين جنسيّة وقوميّة وطائفيّة، فما بال إخواننا المصريين؟ يذكرون تلك العلوم للعرب ولغيرهم وينسون أو يتناسون

الإسلام، أليس ذلك حطّاً من كرامة الدين؟ وإنزالاً لعظمة الإسلام عن قدرها؟ سامحهم الله وبصّرهم.

رواة الصادق عليه السلام وتلاميذه

الصادق عليه السلام هو الناطق بالعلوم كما اجملناه تبعا لما ذكره الحافظ أبو نعيم، ولذلك كثر تلاميذه ورواته، قال الحافظ أبو نعيم في الجزء الثاني من كتاب (حلية الأولياء) ما نصه: وروى عن جعفر بن محمد عدة من التابعين، منهم: يحيى بن سعيد الأنصاري، وأيوب السجستاني، وأبان بن تغلب، وأبو عمرو بن العلاء، ويزيد ابن عبد الله الهادي، وحدّث عنه من الأئمة الأعلام: مالك بن أنس، وشعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري، وابن جريح، وعبد الله بن عمر، وروح بن القاسم، وسفيان بن عيينة، وسليمان بن بلال، وإسماعيل بن جعفر، وحاتم بن إسماعيل، وعبد العزيز بن المختار، ووهب بن خالد، وإبراهيم بن طهمان، واخرج عنه: مسلم بن الحجاج في صحيحه محتجّاً بحديثه. انتهى.

وقال السيد الشبلنجي الشافعي ما ملخصه: أن مناقب الإمام الصادق عليه السلام كثيرة لا يستطيع محاسب أن يحسبها في حساب، ويُحار في انواعها الفهم اليقظ الكاتب، وإن بلغ أعلى درجة في الذكاء، وقد روى عنه جماعة من أعيان أئمة أهل السنة، وأعلامهم مثل: يحيى بن سعيد، وابن جريح، ومالك ابن أنس، والثوري، وابن عيينة، وأبي أيوب السجستاني وغيرهم، وكان له مجلس يأوي إليه الخاصة والعامة، ويزورونه من كلَ فجٍّ عميق، ويسألونه عن الحلال والحرام، وتأويل القرآن، وتفصيل الخطاب، ولا يفارقه أحد ألا وأخذ من علومه ما يرضيه ويقنعه. انتهى.

قال الشيخ المفيد رحمة الله عليه الذي كان يعيش في القرن الرابع واوائل الخامس للهجرة في كتابه (الإرشاد) ما ملخصه: أن الإمام جعفر الصادق عليه السلام كان خليفة أبيه الإمام محمد الباقر عليه السلام دون إخوته، ووصيه، والقائم بأمر الامامة بعده، وكان أفضل إخوته، وأعلمهم، وأعظمهم قدراً، وأكثرهم جلالاً بين الخاصة والعامة، ونقل الناس من علومه ما انتشر في جميع المدن والبلاد والأصقاع، ولم ينقل عن أحد من علماء بيته ما نقل عنه، وما نقله حفظة الأخبار وسدنة

الآثار، منهم ما نقلوه عنه، وقد أحصى أصحاب الحديث من روى عنه من الثقات مع اختلافهم في الآراء والمقالات، فبلغ عددهم اربعة الاف، وقد كثرت الدلائل الواضحة على إمامته، بحيث أنها أنارت القلوب، وكمّت أفواه المخالفين عن الطعن فيها بإيراد الشبهات. انتهى.

وكان من تلامذته رجال من أعيان العلماء والعرفاء، كابي حنيفة النعمان بن ثابت، ومحمد بن الحسن الشيباني، وأبي يزيد الطيفور السقّاء وكان في سقايته، ومالك بن دينار، وإبراهيم بن الادهم وكانا ملازمين له وفي صحبته، وكان أبو حنيفة مغرماً في محادثته معترفاً بفضله، نقل ابن شهرآشوب عن مسند أبي حنيفة: أن حسن بن زياد قال سمعت أبا حنيفة وقد سئل من كان أفقه الناس ممن رأيت؟ قال: جعفر بن محمد لما طلبه المنصور من المدينة أرسل إلي، وقال: يا أبا حنيفة قد فتن الناس بجعفر بن محمد، فتأهب أن تسأله أشكل مسائلك، فأحضرت له أربعين مسألة، فأحضرني المنصور، وكان في الحيرة، فقصدته ولما وردت عليه رأيت جعفر بن محمد جالساً عن يمينه، فلمّا وقع نظري عليه هِبتهُ هيبةً لم أهبْ مثلها المنصور مع شدّة بطشِه، فسلّمت عليه، فأشار إلي بالجلوس،

فجلست، فتوجه إلى الصادق، وقال: يا أبا عبد الله أن هذا أبو حنيفة، فقال: نعم أعرفه، ثمّ توجه إليّ المنصور، وقال: سل أبا عبد الله عن مسائلك، فما زلت أسأله فيجيب، ويقول: أنتم كذا تقولون وأهل المدينة كذا يقولون، وكانت فتواه تارّة موافقة لنا، وأخرى موافقة لأهل المدينة، وربما خالف الجميع في بعض فتواه، وأجاب عن المسائل واحدة بعد الأخرى إلى تمام الأربعين، فلم يخِل بجواب واحدة منها.

قال أبو حنيفة: إذا فأعلم الناس باختلاف الأقوال أعلمهم جميعاً وأفقههم. انتهى .

وكان يعيب على أبي حنيفة قوله بالرأي والقياس، ويقيم عليه الأدلة ببطلان ذلك، إلاّ أن أبا حنيفة لما كان مغرماً بالرأي والقياس لم يكن ينثني عن ذلك قال له يوماً: أنت الذي تقول سأنزل مثل ما أنزل الله؟ قال: كلا، قال الصادق عليه السلام: فما عملك بالقياس؟ وذكر الحافظ أبو نعيم في الجزء الثاني من حلية الأولياء عند ترجمة الإمام الصادق ما لفظه:

قال عبد الله بن شبرمة: دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد، فقال لابن أبي ليلى: من هذا الذي معك؟، قال: هذا

رجل به بصر ونفاذ في أمر الدين، قال: لعله يقيس أمر الدين برأيه؟، قال: نعم، قال: فقال جعفر بن محمد لأبي حنيفة ما اسمك؟، قال: نعمان، قال: يا نعمان هل قست رأسك بعد؟، قال: كيف أقيس رأسي؟، قال: ما أراك تُحسِنُ شيئاً، هل عَلِمتَ ما الملوحة في العينين، والمرارة في الأذنين، والحرارة في المنخرين، والعذوبة في الشفتين؟، قال: لا، قال: ما أراك تُحسِنُ شيئاً؟، قال: فهل علمت كلمة أولها كفر وآخرها إيمان؟ فقال ابن أبي ليلى: يا ابن رسول الله أخبرنا بهذه الأشياء التي سألته عنها، فقال: أخبرني أبي عن جدي أن رسول الله قال: أن الله تعالى بمنّه وفضله جعل لابن آدم الملوحة في العينين؛ لأنهما شحمتين ولولا ذلك لذابتا، وإن الله تعالى بمنّه وفضله لابن آدم جعل المرارة في الأذنين حجاباً من الدواب، فإن دخلت الراس دابة والتمست إلى الدماغ، فإذا ذاقت المرارة التمست الخروج، وإن الله بمنّه وكرمه ورحمته لابن آدم جعل الحرارة الحراة في المنحرين يستنشق بهما الريح ولولا ذلك لنبتن الدماغ، وان الله تعالى بمنه وكرمه ورحمته لابن آدم جعل العذوبة في الشفتين يجد بها استطعام كل شيء ويسمع الناس بها حلاوة منطقه، قال: فأخبرني عن الكلمة التي أولها

كفر وآخرها إيمان؟ فقال: إذا قال العبد لا إله فقد كفر فإذا قال إلاّ الله فهو إيمان، ثم أقبل على أبي حنيفة فقال: يا نعمان حدثني أبي عن جدي أن رسول الله ﷺ قال: أول من قاس أمر الدين برأيه إبليس، قال الله تعالى: اسجد لآدم، فقال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين. فمن قاس الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بإبليس؛ لأنه اتبعه بالقياس. وزاد ابن شبرمة في حديثه، ثم قال جعفر: أيهما أعظم قتل النفس أو الزنا؟ قال: قتل النفس؛ قال: فإن الله عز وجل قبل في قتل النفس شاهدين، ولم يقبل في الزنا إلا أربعة، ثم قال: أيهما أعظم الصلاة أم الصوم؟ قال: الصلاة، قال: فما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟!، فكيف (ويحك) يقوم لك قياسك؟!، اتق الله ولا تقس الدين برأيك. انتهى. بمثل هذا تتلمذ أبو حنيفة على الصادق.

وكان ربما يمازحه ويظهر بذلك قصوره عن درك أسرار الشريعة، وحقائق الدين، وسنن التشريع ليثنيه عن القياس.

قال ابن خلكان في وفيات الأعيان في الجزء الأول صحيفة ١٢١ طبع مصر عند ترجمة جعفر بن محمد هذا لفظه: "حكى كشاجم في كتاب المصايد والمطارد أن جعفراً المذكور

سأل أبا حنيفة، فقال ما تقول في محرم كسر رباعية ظبي؟، فقال: يا بن رسول الله: ما أعلم فيه، فقال: أنت تتداهى ولا تعلم أن الظبي لا يكون له رباعية، وهو ثني أبداً !!" انتهى.

وللإمام جعفر بن محمد مناظرات كثيرة مع أبي حنيفة تشبه ما تقدم تركناها رعاية للاختصار، وغرضه من تلك المناظرات كما يتبين؛ أن يظهر لأبي حنيفة وللملأ أجمع أن من له الزعامة الدينية يجب أن يحيط علماً بجميع الموجودات التي تكتنف الإنسان، ولا يغرب عنه علمها، وأن يكون له الحظ الأوفر من العلم بما غاب عن الحس الإنساني واختص بالملأ الاعلى، ولا يكون ذلك إلا بتعليم من الله واختياره من هو أهل لذلك (**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**) (القصص:٦٨)، وأن يعترف مع ذلك بقصوره عما لم يفعله الله إياه مما استأثر الله بعلمه، ويقول بتعليم من الله بعد تعليمه جعل العلوم: (**مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ**) (ص:٦٩)، أما ذلك الشخص الذي لم يحط علماً بمنافع أعضاء الحيوان (فيزيولوجي) والنبات والجماد، فلا يحق له ادعاء الزعامة في

الدين والقول برأيه فيه وقياسه ولا يصدق منهم ذلك ودعواهم مردودة إليهم.

وبهذا وأمثاله من الادلة الساطعة والبراهين القاطعة من عقل ونقل يعرف ما لمذهب الشيعة من الإتقان والموافقة للحس والوجدان ولكتاب الله الحكيم والعقل السليم وصراط السنة المستقيم، فالإمامة والزعامة الدينية لا تكون ألا باختيار من الله وتعليم منه جل شأنه لا بانتخاب من الامة والناس، فما كان لهم الخيرة (**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ...**) (الاحزاب:٣٦)، فكيف يُعَوّل مؤمن بعد قراءة هذه الآية الكريمة على رأيه وقياسه؛ أليس هذا ردّاً لكتاب الله وادعاء إنزال مثل ما أنزل الله؟!.

إذا كان هذا شأن أبي حنيفة، وهو إنما كان يعمل بالقياس مع فقدان النص الجلي من كتاب وسنة، فما ظنك بمن يرد الأحكام الشرعية والنصوص الجلية ويطوي عن الكتاب والسنة كشحاً، ويضرب عنهما صفحاً إلى أقوال أناس أحرقت الخمور أدمغتهم، ودبت جراثيم الأمراض الزهرية في قلوبهم وأفئدتهم وأفسدت دماءهم، فيأخذون منهم أحكام التشريع

وسنن التقنين يقول الله: (**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا...**)(**المائدة:٣٨**)، ويقولون السارق يحبس، ويقول الله: (**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ...**)(**النور:٢**)، ويقولون الزاني والزانية ليس عليهما شيء إذا لم يكره أحدهما صاحبه، ويقول الله: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ* فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللهَّ وَرَسُولِهِ..**) (**البقرة:٢٧٨-٢٧٩**)، ويشرّعون للربا أحكاماً في الشركات والمصارف وغيرهما، وقِس على ذلك سائر القوانين الحقوقية وقوانين العقوبات، يؤسسون وينشئون لدراسة الأحكام والشرائع الباطلة مدارس يسمونها مدارس الحقوق، وما هي إلاّ عين تضييع الحقوق بميزانيات واسعة تثقل كاهل الأمة والدولة، يأنّ تحت أثقالها وأغلالها الضعفاء والفقراء مع ما فيها من إهلاك للبشر، وإبادة للحرث والنسل، وما هذه الحروب التي تهدد العالم أجمع بالبوار والدمار، إلا نتيجة لتلك الشرائع الباطلة، ومولودة تعاطي الربا والخمور، وإباحة الزنا والفجور، وإدمان الغناء والاستهتار، والدعارة والرعونة، والمكر والغرور، مما تبيحه شرائع الإفرنج، وتحرّمه

الشريعة السهلة السمحة التي ترعى مصالح البشر بعين الله التي لا تنام، وتدفع المفاسد عن الإنسان برحمة الله ولطفه وقدرته التي لا ترام.

ومع أن القرآن ينادي حرصاً على مصالح البشر بأعلى صوته ويقول: (..**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**) (المائدة:٤٤)، ويعقّب ذلك في هذه السورة بقوله عزّ اسمه؛ (..**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**) (المائدة:٤٥)، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون، (**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ**) إلى أن يقول: (..**وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ* أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**) (المائدة:٤٨-٥٠).

وقد قال عزّ اسمه قبلها في سورة النساء : (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ**

الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا)(النساء:٦٠)، إلى أن يقول في هذه السورة: **(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)** (النساء:٦٥)، ويقول في سورة النور: **(وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ *)** (النور:٤٨-٥٢)، الى أن يقول في هذه السورة المباركة: **(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** (النور:٦٣)، **بل خالفوا أمر رسول الله وتركوا شرائعه فأصابتهم الفتن من كل صوب وحق عليهم قول الله تعالى: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ)** (الانعام:٦٥).

فقد قال الصادق عليه السلام أن هذه الآية الشريفة تذكر العذاب في آخر الزمان، فإن الناس يكونون شِيَعاً، وتختلف الكلمة، ويذيق بعضهم بأس بعض، فتشبُّ بينهم حروب دامية، ويصيبهم العذاب من فوق رؤوسهم، ومن تحت أرجلهم، ويقتل بعضهم بعضاً، حتى يُهلك أكثر من ثلثي أهل العالم، وفي بعض الأخبار أربعة أخماسه.

زمّر الشيطان، وطبّل وغنّى ورقص لأهل العالم لما رآهم تركوا أحكام الله وشرائعه، وخالفوا أمر رسوله، واستبدلوا عن الله ورسوله (مونتسكيو) و(جان جاك روسو)، فنصب لهم حبائله، وهاجمهم بخيله ورجله، ووضع بين أيديهم المهلكات، وعلى رأسها القنابل الذرية وما هو اشد منها، وما كان له عليهم من سلطان ألا أن دعاهم، فاستجابوا له، وتركهم الله وشأنهم، ووكلهم إلى أنفسهم؛ لأنهم (**نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ**) (**التوبة:٦٧**)، (**نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**) (**الحشر:١٩**)، هذه الفتنة قد أصابتهم لمخالفة أمر رسول الله ولا شك أن العذاب الأليم سيصيبهم كما ذكره الله تعالى في كتابه العزيز.

يدعي المسلمون في شرق الأرض وغربها لهم الإسلام، ويزعمون أنهم آمنوا بالله ورسوله، وهم يتحاكمون إلى الطاغوت ويجرون أحكام الجاهلية وشرائعها، وقد أمروا أن يكفروا بذلك، والقرآن ينفي الايمان عمن لم يُحكم الله، ومن لم يحكم بما أنزل الله، فهل يسع مسلماً أن يدعي انتحال الإسلام إذا كانت أحكامه مطابقة لـشرائع مونتسكيو وروسو واضرابهما؟؟.

نعترض على من يقول بالرأي ونخطئه في ذلك لمخالفته الكتاب والسنة، مع أنه إنما يستند في رأيه إليهما ولا يعول على الرأي إلا إذا لم يجد نصاً جلياً منهما، فما بالنا نغض النظر عن الأحكام التي لا تزال تجيء مخالفة للشرع وعن القضاء الجاهلي في البلاد الإسلامية جمعاء، وهب أن الذين يعولون على الرأي وهم شر ذمة من المسلمين يهون عليهم ذلك، فما بال الشيعة وقد أنكروا الرأي أشدّ إنكار لا ينكرون تلك المؤسسات التي تدرس أحكام أولي الأهواء وشرائعهم ووزارة العدلية في طهران التي رُتِب قضاؤها وأحكامها على أصول الجاهلية العمياء، وكيف سكت علماء العراق وهم مرجع التقليد للإيرانيين عن هذه الأمور، ولم يعبئوا بما جرى

في إيران من أحكام الجاهلية، وتخريب ألوف مدارس الفقه الإسلامي والتفسير، وتشييّد مدارس لتعليم الناس كيف يتركون القرآن وأحكامه والشـريعة وحكمها ومصالحها، ويستندون إلى كتب الحقوق الافرنجية في الأمور القضائية والتشـريعية، تلك المدارس التي سمّوها مدارس الحقوق وأقعدوا البنات على كراسيها سافرات متبرجات إلى جنب الرجال ليلين القضاء بعد فراغهن من دراسة الحقوق، مع أن القانون الأساسي الإيراني يُحتّم في أصله الحادي والعشرين أن لا يُشَـرع حكم، ولا يُقَنن قانون في المجلس النيابي الإيراني إلاّ بموافقة الكتاب والسنة ومطابقة الشرع الشـريف بنظر عدة من المجتهدين وعلماء الدين وتعيين من مراجع التقليد، فما بال تلك المراجع سمحت بحقها الذي خولها إيّاه القانون الأساسي الإيراني؟؟، والقرآن والسنة يناديان بوجوب المحافظة على هذا القانون.

أنا لا أوجّه اللوم على علماء إيران فإنهم صنفان: أولو فضل تركوا في زاويا الخمول، وانقطعوا عن معاشرة الناس، فصاروا لا يعدون أن حضـروا، ولا يفقدون أن غابوا، ولا يعبأ بهم أحد، ولا يصغي لأقوالهم سامع من حاكم، أو أمير

أو نائب أو وزير، وصنف آخر اشتمل الشمل ووضع العمامة، وهما علامتان للزعامة الدينية، في حين أنه لا يعلم من الدين شيئاً، ولا يحسن من الشـرع حكماً، تقمصوا ثياب الرياسة، واتبعوا ما يسمعونه من صوت دفة السياسة، أولئك هم العلماء على أبواب الملوك، الذين ورد فيهم حديث أمير المؤمنين (ع) : إذا رأيت العلماء على ابواب الملوك، فقل: بؤس الملوك وبؤس العلماء، وإذا رأيت الملوك على ابواب العلماء، فقل: نعم الملوك ونعم العلماء. وإنما اوجه قولي إلى مراجع التقليد الابرار، وعلماء الأمة الاخيار الذين هم في العراق، وانظار الايرانيين عامة متجهة إليهم، وعيونهم ترمقهم بالهيبة والطاعة والاحترام، كيف لا يهمهم أمر ايران ومجاري الأحكام الشرعية فيها، وقد بثت فيها دعاية اللادينية ترمي إلى دك صروح الشرع، وفل بنيانه في ايران واقامة اراء سخيفة (كارل ماركسية) أو (منتسكيوئية) أو غيرها، من المسؤول عن هذه الأحوال؟ أقمت في إيران مدة ثلاث وعشرين سنة تتقاذفني المنافي والسجون؛ لأني كنت أدافع عن الحقوق الإسلامية، وأرد مزاعم أهل الجاهلية، وعدت بعد هذه الحرب الطاحنة إلى طهران، فالتف حولي من يهمه هذا الأمر

من علماء الدين، واخذنا ندافع عن أحكام الدين، حتى أوضحنا لأساتذة كلية الحقوق (الدكاترة)، ولقضاة وزارة العدل، ولنواب المجلس النيابي، أن الشر كل الشـر، والفساد تلو الفساد في أحكام الحقوق الافرنجية، تلك التي دكت صروح مدنية أوروبا وآسيا، وتركت أغنى بلاد العالم وأجملها أفقرها وأبشعها منظراً، حتى صارت أوروبا الزاهرة مقبرة للأطفال والشيوخ الذين هلكوا تحت أنقاض القصور المشيدة التي خربتها، ودكت صروحها مدافع الحقوقيين وقنابلهم، ولكن هذه الفئة العلمية ليست كافية لصد أولئك المعتدين الجاهلين الذين يحسبون أنهم اساتذة، كل فن (دكاترة) إذا لم يمد العراق يد المساعدة الادبية والدينية والعلمية إلى هذه الفئة التي هاجمها أولو الشهوات نساءً ورجالاً من كل صوب وحدب فأطاحوا بها كالحلقة: أن هذه الفئة التي استأنست بالله وعرفت شرائعه لا تخشى أحداً إلاّ الله إذ سمعت قوله تعالى: (**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهَّ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَّ**) (**الاحزاب:٣٩**)، فهي قائمة بالأمر على كل حال، ولكن إذا لم تقصد لعداء اولى الشهوات الميالين عن الحق إلى الباطل لانعدام مساعدة علماء العراق، فمن المعاقب وعلى من

اللوم إذا تركت أحكام الشريعة في إيران، وأبدلت المدارس الدينية المحمدية بكليات الحقوق الافرنجية؟!.

شط بنا المقال، وجرى القلم وطفح، وإن لم يخرج عن الموضوع تماماً، فموضوعنا هو تعاليم جعفر بن محمد عليه السلام أنها إذا طرحت جانباً ظهر الفساد، فقد حق لنا هنا أن نذكر ما في تلك الدروس الحقوقية من الفساد الذي طبق العالم بأسره وأورده موارد الهلكة، ويوشك أن يفنى من في الأرض جميعاً، ألا يحق للصادق جعفر بن محمد أن عليه السلام يقول وقد سمع بفتوى بعضهم في كراء بغل على خلاف ما تقتضيه الشريعة:- لمثل هذا تقطر السماء دماً، أجل؛ والله لمثل هذا تقطر السماء دماً، وتكاد السموات يتفطرن، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هداً، أحكام الشرع تشمل جميع المصالح، وتنفي جميع المفاسد، فإذا تركها الناس، فقد استقبلوا المفاسد، ووقعوا فيها، واستدبروا المصالح، وخلوا منها، وهل عاقبة ذلك إلاّ خراب العالم ودماره وبواره؟! أعاذنا الله وجميع البشر من هذه المفاسد وبصّرنا بما يُصلحنا ويجب علينا من أحكامه وشرائعه وسننه.

ولئن كان بعض تلامذة الصادق عليه السلام الذين اخذوا العلم عنه وشابو صفوه بكدر الرأي والاستحسان، وقد ذكرنا شيئاً عنه، فلم يكن غيره التابعين من تلامذة الصادق قد تجاوزوا حدود الله كما تجاوزها ذاك، وإن اضافوا إلى اراء استاذهم اراء لو لم يقولوا بها لسلموا.

منهم: سفيان الثوري؛ فإنه كان تلميذاً للصادق عليه السلام، وكان حريصاً على الاستفادة منه، قال الحافظ أبو نعيم في ترجمة الصادق جعفر بن محمد: أن سفيان الثوري لما قال له: لا أقوم حتى تحدثني، قال له: أنا احدثك وما كثرة الحديث لك؟، يا سفيان: إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها، فأكثّر الحمد والشكر عليها، فإن الله عز وجل قال في كتابه: **(لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)(ابراهيم:٧)**، وإذا استبطأت الرزق، فأكثّر من الاستغفار، فإن الله تعالى قال في كتابه: **(..اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا) (نوح:١٠-١٢)**، يا سفيان: إذا كان حزنك من سلطان أو غيره، فاكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة، فعّد سفيان بيده وقال: ثلاثاً وأي

ثلاث؟: قال جعفر الصادق عليه السلام : عقلها والله أبو عبد الله ولينفعنه الله بها، وقال سفيان الثوري: دخلت على جعفر بن محمد وعليه جبة خز دكناء، وكساء خز ارجواني، فجعلت أنظر إليه معجباً، فقال لي: يا ثوري ما لك تنظر إلينا لعلك تعجب مما رأيت، قال: قلت يا بن رسول الله ليس هذا من لباسك ولا لباس ابائك، فقال: يا ثوري كان ذلك زماناً مقفراً، وكانوا يعملون على قدر أقفاره وأقتاره، وهذا زمان قد أقبل كل شيء فيه عز، ثم حسر عن ردن جبته، وإذا تحتها جبة صوف بيضاء يقصر الذيل عن الذيل، والردن عن الردن، فقال لي: يا ثوري لبسنا هذا لله، وهذا لكم، فما كان لله أخفيناه، وما كان لكم أبديناه .انتهى.

وأحاديث سفيان الثوري مع الصادق كثيرة، وتلمذته عليه مشهورة، وطلباً للاختصار نترك الإكثار، ويعلم من جميع اخباره معه أن الثوري كان مغرماً بتعاليم الإمام الصادق، ولكن التصوف وصحبة أبي هاشم الكوفي، وإبراهيم بن الادهم، ورعاية دولة امية، وبني العباس ربما كانت تنبو به، فتحيد بفكره عن الصراط المستقيم، فيعترض على لباس

الصادقعليه السلام مثلاً بنافع، والنفع في وعيه ورعايته كما علمه بذلك الإمام الصادقعليه السلام.

ومنهم مالك بن أنس، فقيه أهل المدينة، روى الصدوق عنه أنه قال: كنت أَفِدُ على الإمام جعفر بن محمد الصادقعليه السلام فيثني لي الوسادة لاتكأ عليها، وكان يعرف قدري، ويقول: يا مالك أنا أحبك، فكان يسرني ذلك، وأحمِدُ الله عليه، وما كان يخلوعليه السلام من احدى خصال ثلاث، كان إما صائماً النهار، أو قائماً الليل، أو مشغولاً بالذكر، وكانعليه السلام من كبار العباد والزهاد، وكان ممن يخافون الله تعالى ويخشونه، وكان كثير الحديث، حلو المجالسة، وجم الفائدة، وكان كلما يريد أن يقول قال رسول الله يتغير لونه إلى الخضـرة والى الصفرة بحيث لا يعرفه من كان لا يعرفه، ولقد صحبته سنة في سفر الحج، حتى إذا جئنا إلى الميقات فلما شرع بالإحرام، وأراد أن يلي انقلب حاله حتى أن صوته تردد في حنجرته فلم يسمع، وكاد أن يسقط عن ظهر بعيره، فقلت له يا ابن رسول الله لبّ ولا بد لك من التلبية، فقال كيف اجرأ، فأقول: لبيك اللهم لبيك وسعديك، وأنا اخشى أن يقول الله: لا لبيك ولا سعديك، انتهى.

وهذه هي سجية الابدال من أولياء الله، فانهم كلما ازدادوا قرباً من الله ازدادوا خشية له، وإن الامامين الشافعي وابن حنبل من الفقهاء، وإن كانا لم يدركا عهد الصادق، فإنهما إنما اخذا العلم من تلامذته، فإن الإمام الشافعي أخذ العلم عن مالك بن أنس، ومحمد بن الحسن الشيباني، وسفيان بن عيينة، وهؤلاء كلهم من تلامذة الصادق عليه السلام، وان ابن حنبل أخذ العلم من الشافعي، فهو تلميذ الإمام الصادق عليه السلام بواسطة أو وسائط كما ذكر ذلك ابن خلكان في ترجمة الشافعي وابن حنبل وغيرهما ممن ذكرهم، وكذلك ائمة الحديث ممن لم يرو عن الصادق عليه السلام مباشرة، فإن البخاري ومسلماً على ما ذكره ابن خلكان قد رويا عن ابن حنبل أخذ العلم والحديث ممن أخذه عن الصادق، ألا أن البخاري لم يذكر الصادق في أسانيد احاديثه، وروى عن المرجئة والمفوضة وغيرهم من مضطربي المذهب، ومسلم روى الحديث عن الصادق وصححه على ما ذكره الحافظ أبو نعيم في ترجمة الإمام الصادق عليه السلام في الجزء الثامن من كتاب حلية الأولياء، ولما كان الإمام الصادق بحراً طامياً لا يدرك عبابه تنفجر منه ينابيع العلوم والحكمة، كان يأوي إليه أيضاً من لا يدين بدين

الإسلام، فيأخذون العلم عنه، فمنهم من يهتدي، ومنهم من يبقى على ضلاله في الدين مع استفادته أنواع الحكم والعلوم من إمام المسلمين جحوداً وغياً، كان يأوي إليه أطباء الهند، وحديث الاهليجية، وهو كتاب ممتع يحوي أنواع العلوم إنما كان مع طبيب هندي يقول بالدهر، فهداه الله تعالى إلى دين الإسلام ببركة علوم الصادق عليه السلام، وحديث توحيد المفضل إنما كان مع ابن أبي العوجاء وابن المقفع الزنديقيين الدهريين، وهو كتاب يشتمل على أنواع العلوم المادية، وقد طبع مستقلاً في بغداد، ولو أن إخواننا علماء مصر نظروا في هذين الكتابين لعرفوا منزلة الصادق كما هي وانه أفقه علماء الإسلام، وطبه كفقهه، وحديثه كتفسيره، وهو في سائر العلوم المادية مثله في العلوم الإلهية، ولما اشتبه الأمر على صاحب دائرة المعارف، فقال أن الإمام أخذ الكيمياء عن خالد ابن يزيد، ولا صاب الحق وعلم أن العلوم أنما اخذت عن الإمام، والإمام لم يأخذ ألا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن لطائف قول ابن أبي العوجاء في صفة الإمام الصادق عليه السلام ما رواه المفضل في توحيده ما لفظه: روى محمد بن سنان، قال: حدثني المفضل بن عمرو، وقال: كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر،

وانا مفكر فيما خصَّ الله تعالى به سيدنا محمداً ﷺ من الشرف والفضائل ما منحه وأعطاه وشرّفه وحباه مما لا يعرفه الجمهور من الأمة، وما جعلوه من فضله وعظيم منزلته وخطير مرتبته، فإنني كذلك إذ أقبل ابن أبي العوجاء، فجلس بحيث أسمع كلامه، فلما استقر به المجلس، وإذا برجل من أصحابه قد جاء، فجلس إليه، فتكلم ابن أبي العوجاء، فقال: لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله، وحاز الشرف بجميع خصاله، ونال الحظوة في كل أحواله، فقال له صاحبه: أنه كان فيلسوفاً ادعى المرتبة العظمى والمنزلة الكبرى، واتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول، وضلت فيها الاحلام، وغاصت الألباب على طلب علمها في بحار الفكر، فرجعت خاسئات وهي حسيرة، فلما استجاب لدعوته العقلاء والفصحاء والخطباء دخل الناس في دينه أفواجاً، فقرن اسمه باسم ناموسه، فصار يهتف به على رؤوس الصوامع في جميع البلدان والمواضع التي انتهت إليه دعوته، وغلبتها كلمته، وظهرت فيها حجته براً وبحراً، وسهلاً وجبلاً، في كل يوم وليلة خمس مرات مردداً في الأذان والإقامة ليتجدد في كل ساعة ذكره لئلا يخمل أمره، فقال ابن أبي العوجاء: دع ذكر

محمد فقد تحيّر فيه عقلي وضل في امره فكري، وحدثنا في ذكر الأصل الذي نمشي عليه، ثم ذكر ابتداءً الأشياء وزعم أن ذلك بإهمال لا صنعة فيه ولا صانع ولا مدبر، بل الأشياء تتكون من ذاتها بلا مدبر وعلى هذا كانت لم تزل ولن تزال، قال المفضل فلم املك نفسي غضباً وحنقاً، فقلت: يا عدو الله ألحدت في دين الله، وأنكرت الباري جل قدسه الذي خلقك في احسن تقويم، وصوّرك في أتم صورة، ونقلك في أحوالك حتى بلغت إلى حيث انتهيت، فلو تفكرت في نفسك، وصدقك لطيف حسك، لوجدت دلائل الربوبية، وآثار الصنعة فيك قائمة، وشواهده جل وتقدس في خلقك واضحة، وبراهيته لك لائحة، فقال: يا هذا إن كنت من أهل الكلام كلمناك، فإن ثبتت لك حجة تبعناك، وإن لم تكن منهم، فلا لك كلام، وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فما هكذا يخاطبنا، ولا بمثل دليلك يجادلنا فينا، ولقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت، فما افحش في خطابنا، ولا تعدى في جوابنا، وانه للحليم الرزين، العاقل الرصين، لا يعتريه خرق، ولا طيش، ولا نزق، يسمع كلامنا، ويصغي إلينا، ويتعرف حجتنا، حتى إذا استفرغنا ما عندنا وظننا أنا

قطعناه أدحضَ حجتنا في كلام يسير، وخطاب قصير، يلزمنا به الحجة، ويقطع العذر، ولا نستطيع لجوابه رداً، فإن كنت من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه، (قال المفضل): فخرجت من المسجد محزوناً مفكّراً فيما بُلِيّ به الإسلام وأهله من كفر هذه العصابة وتعطيلها، فدخلت على مولايعليه السلام فرآني منكسراً فقال: ما لك؟، فأخبرته بما سمعت من الدهريين وبما رددت عليهما، فقال: يا مفضل، لا لقين عليك من حكمة الباري جل وعلا وتقدس اسمه في خلق العالم والسباع والبهائم والطير والهوام وكل ذي روح من الأنعام والنبات ومن الشجر المثمر وغير المثمر والحبوب والبقول المأكول ما يعتبره المعتبرون ويسكن إليه المؤمنون ويتحير فيه الملحدون فبكر علي غداً .انتهى.

ولما حضر المفضل بين يديه ألقى عليه ذلك الكتاب الذي ضمَّ جميع العلوم والفنون الفلكية والنباتية والفسيولوجية والحيوانية والكيماوية وخصائص بقاع الأرض وطبقاتها وجميع العلوم المادية ومظاهر الطبيعة الحسيّة وعجائب الكون الخفيّة، وجعلها كلّها أدلّة ساطعة، وبراهين قاطعة، يرى منها توحيد الاله وقدرته الازلية وتدبيره جلّ اسمه وحكمته.

ولابن المقفع، وابن أبي العرجاء مناظرات أُخر مع الصادق في فنون العلوم، رواها صاحب الكافي في أصوله وغيره، تركناها طلباً للاختصار.

ولما شاهد الناس ما شاهدوا من الصادق عليه السلام من أخبار الغيب وأنواع العلوم التي لا توجد عند بشر غيره فتن ضعفاء العقول، وقالوا بألوهيته، وعلى رأسهم الخطابيون أصحاب أبي الخطاب محمد بن مقلاص، فلعنهم الصادق، وقال: أنهم صغّروا الله قدره، وبين أن هذه الآثار حقيرة جداً بالنسبة إلى القدرة الازلية، ومن افتتن بها وزعم أنها اثار الربوبية، فقد صغر قدر الله، وجهل معنى الربوبية وعظمتها التي تجل عن أن ينالها فكر ويحوم حولها وهم، أو تحدّ بحدّ، وما البشر وإن أتى بأكبر المعجزات ألا محدود حقير صغير بالنسبة إلى الكبرياء الإلهي والجبروت السرمدي، ولما قُتل أبو الخطاب واصحابه في الكوفة فرح الصادق فرحاً شديداً ولعنهم، وحذّر الناس من مقالتهم، ألا أن ضعفاء العقول لم تنته فتنتهم، بل بقي على مقالة الخطابيين أناس من الغلاة ربما يوجد منهم عدد يسير في إيران والهند وشمال العراق، وهم ملعونون كافرون على لسان الصادق وبصريح القرآن، ومما

يناسب ذكره هنا، هو أن بعض إخواننا المصريين يحسبون الشيعة غلاة، ولا يدرون من التشيع شيئاً، فيتهمون الشيعة بما هم منه بريئون، ولا يتعبون أنفسهم في التتبع والاطلاع على مذهب الشيعة، بل يأخذون هذه التهم من أفواه الجاهلين، أو المتعمدين في الافتراء على التشيع والشيعة لتفريق كلمة المسلمين، والشيعة ابعد عن الغلو من كل طائفة من طوائف المسلمين وهم المقرّون بخالص التوحيد: (**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**) (**الزمر:٣**).

هذا شيء مما أوجب اختصاص لقب (الناطق) بالصادق، ولو أردنا ذكر الأسباب كلها لطال بنا المقام، ولأستوعبَ مجلدات ضخمة تنافي ما نحن بصدده من الاختصار.

الصفة الثانية ذو الزمام السابق

هذه صفة اختص بها الإمام جعفر بن محمدعليه السلام من بين الأئمة لما قدر الله له من اسبابها، فإنه استطاع أن يتكلم عن العلوم بأسرها بلا معارض، وان التابعين في عصره وبعده والعلماء والفقهاء والمحدثين والمفسرين والمتكلمين إنما أخذوا العلم والفقه والكلام والتفسير والحديث عنه كما أسلفنا، فهو الناطق وذو الزمام السابق، وغير ذلك هما ذكرناه، فإن نسبه الشريف لم يتفق لغيره، واتفاق كلمة الأمة على اختلاف نزعاتهم وآرائهم إنما يكون عليه لا على غيره، إذ أن نسبه من الأب ينتهي إلى أصل النبوة وشجرتها الزكية، ومن طرف الأم ينتهي إلى أبي بكر الصديق؛ لأن امه الزكية هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر على ما ذكره أهل السير والآثار، كالحافظ أبي نعيم، وابن خلكان، وسائر المؤرخين وأهل السير، ومن جهة أخرى أنه ينتمي إلى كسرى يزدجر آخر ملوك الفرس، فإن ام جده لأبيه علي بن

الحسين زين العابدين (شهربانويه) بنت يزدجر على ما ذكره ابن خلكان في ترجمة زين العابدين علي بن الحسين، وام جده لأبيه اختها، فإن القاسم وعلي بن الحسين كانا ابني خالة، امهاتهما بنتا يزدجر كما ذكره ابن خلكان وغيره، فهو من جهة النسب جمع الكلمة بين العرب والفرس، وبين طوائف العرب المختلفة، فسبقه نسباً وعلماً وجب اختصاص عنوان المذهب به.

أيها المصـريون ماذا تنقمون منا؟ أتمسكنا بأهل بيت النبوة وتقديمهم على غيرهم من الأعاجم والجاهلين بأصول العلم؟، فإن كان هذا ذنبنا، وهو أكبر حسناتنا، فما اللوم ألا عليكم إذ تعدون الحسنة سيئة.

إذا محاسنى اللاتي أدل بها كانت ذنوباً فقل لى كيف اعتذر؟

هلّموا بنا إلى الحق لنصدع به والباطل لنبطله، رسول الله ﷺ محمد خاتم النبيين، وأولى به وبعلومه أهل بيته، **(وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ)** (الاحزاب:٦) واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المهاجرين والأنصار ، فكيف تقدمون الغرباء الابعاد على رحم رسول الله ولحمته وابنائه؟!،

واعلموا أن تمسك الشيعة بالقرآن الكريم وتعاليمه والسنة النبوية وسنتها أشد من جميع طوائف المسلمين؛ لأنهم لا يأخذون الحديث ألّا عن أهل بيت النبوة دون بخارى والمروزي والنيسابوري، ولا يطعنون على أحد، لكن الحائطة في الدين وشدة التمسك بأحكام سيد المرسلين دعتهم أن لا يأخذوا الحديث ألا عن أهل بيت العصمة وفروع شجرة النبوة، وأعلم علماء الأمة كما شهد له القاصي والداني دون من لا يعرف أن الظبي لا تكون له رباعية، وإن أول من قاس إبليس، ولا يعلم خصائص منافع أعضاء الإنسان، وما في العين والأذن والفم و المنخرين من فوائد فسيولوجية، ولا يعرف شيئاً من أحوال الإنسان والجماد والنبات والفلك، ولا يعرف من القرآن فاكهة وابّا ويقول: ولو ضربه (بأبا قبيس) بدل أبي قبيس، ولا يحسن شيئاً كما وصفه الإمام الصادق بذلك، على ما ذكره الحافظ أبو نعيم، وقد أسلفنا ذكره، وقد قال شاعرهم الكميت المتوفي أوائل القرن الثاني من الهجرة:

ومالى إلا آل احمد شيعة ومالى إلا مذهب الحق مذهب

فهم متمسكون بذلك، أيعابُ هذا عليهم؟! وأنهم لم يقلدوا أحداً وباب الاجتهاد عندهم مفتوح ابداً؟، وإنما

اخذوا الحديث عن أهل بيت رسول الله؛ الذين هم أعلم بحديثه، كما أنهم أعلم بجميع علوم الدنيا مما خلقه الله على وجه الأرض من لدن دحوها إلى فنائها، ومن الآخرة إلى بقائها، والدليل معهم والحجة لهم.

أيها الاخوان من المصريين وغيرهم..

ساعدونا على توحيد الكلمة واجتمعوا معنا على اعلم علماء الامة ابن خاتم النبيين وخير الوصيين والصديق صاحب الغار ذي الزمام السابق جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وما احسن قول عمرو بن المقداد على ما نقله الحافظ ابو نعيم في ترجمة الصادق: (كنت اذا نظرت الى جعفر بن محمد علمت انه من سلالة النبيين) انتهى.

فمن ينبئك مخبره ومنظره انه من سلالة النبيين احق بالاتباع، ام من خبرته فوجدته من سلالة الاعاجم، فيكون اتباع سلالة النبيين ذنباً لا يغفر.

وان كنتم ايها الاخوان تتهموننا بشيء غير ذلك وترموننا باننا نغالي في حب أهل البيت، أو ندعي لهم منزلة العبودية لله والاختصاص بعلوم رسول الله، فنحن عن ذلك بريئون،

ونبرأ الى الله من كل محب مغال او عدو قال، وهذه حجتنا قدمناها إليكم، فإن قبلتموها اتحدت الكلمة، واتلفت الفرقة، ولمّ الشعث، وشعب الصدع، وان اصررتم على اتهامنا بغير ذلك، فالله خصمكم يوم القيامة، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وعليكم تبعة تفرّق الكلمة، وتشتت الجمع واختلاف الامة، وان كنتم في ريب مما قلنا فحدثونا بحججكم ندحضها او نقبلها، ولا تسعوا في اختلاف المسلمين في هذا العصر الذي هم احوج فيه الى اتفاق الكلمة من كل عصر، **(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (آل عمران:١٠٥)**، **(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) (آل عمران:١٠٣)**، **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) (الحجرات:١٠)**، الى هنا ننتهي من المقال اختصاراً، ونسال الله التوفيق لعامة المسلمين وسائر بني الانسان لما فيه خير الدنيا والاخرة.

ومن المناسب تكميلاً للفائدة واستجلاباً للبركات ان نذكر في خاتمة مقالنا بعض الاحاديث التي رواها علماء الحديث عن الصادق تبركاً وتيمناً، فمن ذلك ما رواه الحافظ ابو نعيم عن محمد بن بشر قال: قال جعفر بن محمد عليه السلام قال: أوحى

الله تعالى الى الدنيا ان اخدمي من خدمني، واتبعي من خدمك.

عن عمران بن ابان، عن جعفر بن محمد في قوله تعالى: (**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ**) (**الحجر:٧٥**) قال: للمتفرسين.

عن محمد بن القاسم قال: كان جعفر بن محمد يقول: كيف اعتذر وقد احتججت؟، وكيف احتج وقد علمت بالذي صنعت؟!.

وعن هياج بن بسطام قال: كان جعفر بن محمد يعم حتى لا يبقى لعياله شيء.

قال عيسى ابن صاحب الديوان: حدثنا بعض اصحاب جعفر قال: سئل جعفر بن محمد: لِم حرّم الله الربا؟، قال: لئلا يمانع الناس بالمعروف.

عن عبد الله بن ابي يعقوب، عن جعفر بن محمد قال: بنّي الانسان على خصال، فما بني عليه انه لا يبنى على الخيانة والكذب.

قال هشام بن عباد: قال سمعت جعفر بن محمد يقول: الفقهاء امناء الرسل، فاذا رأيتم الفقهاء قد ركبوا الى السلاطين فاتهموهم.

قال الاصمعي قال: قال جعفر بن محمد: الصلاة قربان كل تقي، والحج جهاد كل ضعيف، وزكاة البدن الصيام، والداعي بلا عمل، كالرامي بلا وتر، واستنزلوا الرزق بالصدقة، وحصنوا اموالكم بالزكاة، وما عال من اقتصد، والتدبير نصف العيش، والتودد نصف العقل، وقلة العيال احد اليسارين، ومن احزن والديه فقد عقهما، ومن ضرب بيده فخذه عند مصيبة فقط حبط اجره، والصنيعة لا تكون صنيعة الا عند ذي حسب ودين، والله تعالى منزل الصبر على قدر المصيبة، ومنزل الرزق على قدر المؤنة، ومن قدر معيشته رزقه الله تعالى، ومن بذر معيشته حرمه الله تعالى...

ولا يخفى ما في هذه الاحاديث الشريفة من الفوائد الاخلاقية والاجتماعية والاقتصادية، ولا نريد بسط الكلام في شرحها، ومما رواه الحافظ ابو نعيم عن الفضل بن غسان عن شيخ من اهل المدينة قال: كان من دعاء جعفر بن محمد:

اللّهُمَّ، أَعِزْنِي بطَاعَتِك، وَلا تُخْزِنِي بِمَعْصِيتَكَ، اللّهُمَّ، أَرْزُقْني مُوَاسَاة مَنْ قتَّرْت عَلَيْهِ رِزْقَهُ، بِمَا وَسَّعْت عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ. قال ابو معاوية (يعني غسان) فحدثت بذلك سعيد بن مسلم، فقال هذا دعاء الاشراف.

قال: نصـر بن كثير قال: دخلت انا وسفيان الثوري، على جعفر بن محمد، فقلت: اني اريد البيت الحرام فعلمني شيئاً ادعُ به، فقال: اذا بلغت الحرام فضع يدك على الحائط، ثم قل: يا سابقَ الفوت، ويا سامع الصوت، ويا كاسي العظام لحماً بعد الموت، ثم ادع بما شئت، فقال له سفيان شيئاً لم افهمه، فقال له: يا سفيان اذا جاءك ما تحب فأكثر من الحمد لله، واذا جاءك ما تكره فاكثر من لاحول ولا قوة الا بالله، واذا استبطأت الرزق فاكثر من الاستغفار.

ومن محاسن اجوبته التي عدها الحافظ ابو نعيم في أحاديثه ما نقله الحافظ عن المقدام الرازي قال: قال المقدام: وقع الذباب على المنصور، فذبه عنه فعاد فذبه، حتى اضجره، فدخل جعفر بن محمد عليه السلام عليه، فقال المنصور يا ابا عبد الله: لم خلق الله الذباب؟ قال: ليذل به الجبابرة.

عن عنبسة الخثعمي، وكان من الاخيار قال: سمعت جعفر بن محمد يقول: اياكم والخصومة في الدين، فانها تشغل القلب، وتورث النفاق.

وفي رواية قال جعفر بن محمد: اذا بلغك عن اخيك شيء يسؤك، فلا تغتم، فانه ان كان كما يقول كانت عقوبة عجلت، وان كان على غير ما يقول كانت حسنة لم تعلمها: قال: وقال موسى يا رب اسالك ان لا يذكرني احد الا بخير، قال: ما فعلت ذلك لنـفسي.

وقال الثوري: قال جعفر بن محمد: لا يتم المعروف الا بثلاثة: بتعجيله وتصغيره وستره.

ومن وصاياه ما نقله الحافظ ابو نعيم عن الهيثم، حدثني بعض اصحاب جعفر بن محمد الصادق قال: دخلت على جعفر وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية، كان مما حفظت منها ان قال: يا بني اقبل وصيتي، واحفظ مقالتي، فانك ان حفظتها تعش سعيداً وتموت حميداً، يا بني من رضيّ بما قسم الله له استغنى، ومن مد عينه الى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرضَ بما قسمه الله له اتهم الله في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه، استعظم زلة غيره، ومن استصغر زلة

غيره، استعظم زلة نفسه، يا بني من كشف حجاب غيره انكشف عورات بيته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن احتفر لأخيه بئراً وقع فيها، ومن داخل السفهاء حقرّ، ومن خالط العلماء وقرّ، ومن دخل مداخل السوء اتهم، يا بني اياك ان تزري بالرجال فيزرى بك، واياك والدخول فيما لا يعنيك فتذل لذلك، يا بني قل الحق لك او عليك، تستشاد من بين اقرانك، يا بني كن لكتاب الله تالياً وللسلام فاشياً، وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً، ولمن قطعك واصلاً ولمن سكت عنك مبتدأ، ولمن سألك معطياً، واياك والنميمة، فانها تزرع الشحناء في قلوب الرجال، واياك والتعرض لعيوب الناس فمنزلة التعرض لعيوب الناس بمنزلة الهدف، يا بني اذا طلبت الجود فعليك بمعادنه، فان للجود معادن، وللمعادن اصولاً، وللأصول فروعاً، وللفروع ثمراً، ولا يطيب ثمر الا بالأصول، ولا اصل ثابت الا بمعدن طيب، يا بني ان زرت فزر الاخيار ولا تزر الفجار؛ فانهم صخرة لا ينفجر ماؤها، وشجرة لا يخضّر ورقها وارض لا يظهر عشبها، قال: علي بن موسى فما ترك هذه الوصية الى ان توفي.

هذا شيء مما رواه اهل السنة عنه عليه السلام، وقد روى الشيعة عنه ألوف ألوف الاحاديث المسندة، وننقل هنا حديثاً يناسب هذا العصر، وفيه الاخبار عن الغيب، وقد رواه الكليني؛ الذي كان يعيش في القرن الثالث والرابع للهجرة في كتابه روضة الكافي، ونقله صاحب الوسائل في كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٥٥٢ من الطبعة الاولى في طهران، في باب تحريم التظاهر بالمنكرات، وذكر جملة من المحرمات والمكروهات عن الصادق قال:

الا تعلم ان من انتظر امرنا، وصبر على ما يرى من الاذى والخوف، فهو غداً في زمرتنا، فإذا رأيت الحق قد مات وذهب أهله، ورأيت الجور قد شمل البلاد، ورأيت القرآن قد خلق وأحدث ما ليس فيه ووجه على الاهواء، ورأيت الدين قد انكفأ كما ينكفئ الماء، ورأيت أهل الباطل قد استعلوا على الحق، ورأيت الشر ظاهراً لا ينهى ويعذر اصحابه، ورأيت الفسق قد ظهر واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، ورأيت المؤمن صامتاً لا يقبل قوله، ورأيت الفاسق يكذب ولا يرد عليه كذبه وفريته، ورأيت الصغير يستحقر الكبير، ورأيت الارحام قد تقطعت، ورأيت من يمتدح بالفسق

يضحك منه ولا يرد عليه قوله، ورأيت الغلام يعطى ما تعطى المرأة، ورأيت النساء يتزوجن النساء، ورأيت الفساد قد كثر، ورأيت الرجل ينفق المال في غير طاعة الله فلا ينهى ولا يؤخذ على يديه، ورأيت الناظر يتعوذ بالله مما يرى المؤمن فيه من الاجتهاد، ورأيت الجار يؤذي جاره وليس له مانع، ورأيت الكافر فرحاً لما يرى والمؤمن ترحاً لما يرى في الارض من الفساد، ورأيت الخمور تشرب علانية ويجتمع عليها من لا يخاف الله عز وجل، ورأيت الآمر بالمعروف ذليلاً، ورأيت الفاسق فيما لا يحب الله قوياً محموداً، ورأيت اصحاب الآيات يحقرون ويحتقر من يحبهم، ورأيت سبيل الخير منقطعاً وسبيل الشر مسلوكاً، ورأيت بيت الله قد عطل ويؤمر بتركه، ورأيت الرجل يقول ما لا يفعله، ورأيت الرجال يتسمنون للرجال والنساء للنساء، ورأيت الرجل معيشته من دبره ومعيشة المرأة من فرجها، ورأيت النساء يتخذن المجالس كما يتخذها الرجال، ورأيت التأنيث في الاولاد قد ظهر، واظهروا الخضاب وامتشطوا كما تمشط المرأة لزوجها، واعطوا الرجال الاموال على فروجهم، وتنوفس في الرجل وتغابن عليه الرجال، وكان صاحب المال اعز من المؤمن، وكان الرياء

ظاهراً لا يغير، وكان الزنا تمتدح به النساء، ورأيت المرأة تصانع زوجها على نكاح الرجال، ورأيت اكثر الناس وخير بيت من يساعد النساء على فسقهن، ورأيت المؤمن محزوناً محتقراً ذليلاً، ورأيت البدع والزنا قد ظهرا، ورأيت الناس يقتدون بظاهر الزور، ورأيت الحرام يحلل، ورأيت الحلال يحرم، ورأيت الدين بالرأي وعطل الكتاب واحكامه، و رأيت الليل لا يستحيا به من الجرأة على الله، ورأيت المؤمن لا يستطيع ان ينكر الا بقلبه، ورأيت العظيم من المال ينفق في سخط الله عز وجل، ورأيت الولاة يقربون اهل الكفر ويباعدون اهل الخير، ورأيت الولاة يرتشون في الحكم، ورأيت الولاية قبالة لمن زاد، ورأيت ذوات الارحام ينكحن ويكتفي بهن، ورأيت الرجل يقتل على التهمة وعلى الظنة ويتغاير الرجل على الرجل الذكر، فيبذل له نفسه وماله، ورأيت الرجل يعير على اتيان النساء، ورأيت الرجل يأكل من كسب امرأته يعلم ذلك ويقيم عليه، ورأيت المرأة تقهر زوجها وتعمل ما لا يشتهي وتنفق على زوجها، ورأيت الرجل يكري امرأته وجاريته ويرضى بالدني من الطعام والشراب، ورأيت الإيمان بالله عز وجل كثيرة يقل عند

الناس، ورأيت القمار قد ظهر، ورأيت الشراب يباع ظاهراً ليس له مانع، ورأيت النساء يبذلن انفسهن لأهل الكفر، ورأيت الملاهي قد ظهرت يمر بها لا يمنعها احد ولا يجترئ احد على منعها، ورأيت الشريف يستذله الذي يخاف سلطانه، ورأيت اقرب الناس من الولاة من يمتدح بسبنا أهل البيت، ورأيت من يحبنا يزور ولا تقبل شهادته، ورأيت الزور من القول يتنافس فيه، ورأيت القرآن قد ثقل على الناس استماعه، وخف على الناس استماع الباطل، ورأيت الجار يكره الجار خوفاً من لسانه، ورأيت الحدود قد عطلت، وعمل فيها بالأهواء، ورأيت المساجد قد زخرفت، ورأيت اصدق الناس عند الناس المفتري الكذاب، ورأيت الشر قد ظهر واتسع بالنميمة، ورأيت البغي قد فشا، ورأيت الغيبة تستملح ويبشر بها الناس بعضهم بعضاً، ورأيت طلب الحج والجهاد لغير الله، ورأيت السلطان المؤمن يذل للكافر، ورأيت الخراب قد اديل من العمران، ورأيت الرجل معيشته من بخس المكيال والميزان، ورأيت سفك الدماء يستخف به، ورأيت الرجل يطلب الرياسة لغرض الدنيا، ويشهر نفسه بخبث اللسان ليتقى وتستند اليه الامور، ورأيت الصلاة قد استخف بها،

ورأيت الرجل عنده المال الكثير لم يزكه منذ ملكه، ورأيت الميت ينشر من قبره ويؤذى وتباع اكفانه، ورأيت الهرج قد كثر، ورأيت الرجل يمسي نشوان ويصبح سكران، لا يهتم بما الناس فيه، ورأيت البهائم تنكح ورأيت البهائم يفرس بعضها بعضاً، ورأيت الرجل يخرج الى مصلحة ويرجع عليه شيء من ثيابه، ورأيت غلو الناس قد فشت وجمدت اعينهم، وثقل الذكر عليهم، ورأيت السحت قد ظهر يتنافس فيه، ورأيت المصلي انما يصلي ليراه الناس، ورأيت الفقيه يتفقه لغير الدين يطلب الدنيا والرياسة، ورأيت الناس مع من غلب، ورأيت طالب الحلال يذم ويعير، وطالب الحرام يمدح ويعظم، ورأيت الحرمين يعمل فيهما بما لا يحب الله، لا يمنعهم مانع ولا يحول بينهم وبين العمل القبيح احد، ورأيت المعازف ظاهرة في الحرمين، ورأيت الرجل يتكلم بشيء من الحق، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فيقوم اليه من ينصحه في نفسه، ويقول: هذا عنك موضوع، ورأيت الناس ينظر بعضهم الى بعض ويقتدون باهل الشرور، ورأيت مسلك الخير وطريقه خلياً لا يسلكه احد، ورأيت الموت يهزأ به فلا يفزع له احد، ورأيت كل عام يحدث فيه من الشر

والبدعة اكثر مما كان، ورأيت الخلق والمجالس لا يتابعون الا الاغنياء، ورأيت الناس تتفاسد كما تتفاسد البهائم، ولا ينكر احداً منكراً تخوفاً من الناس، ورأيت الرجل ينفق الكثير في غير طاعة الله، ويمنع القليل في طاعة الله، ورأيت العقوق قد ظهر واستخف بالوالدين، وكانا من اسوء الناس احوالاً عند الولد، ويفرح بأن يفترى عليهما، ورأيت النساء قد غلبن على الملك وغلبن على كل امر لا يؤتى الا مالهن فيه هوى، ورأيت ابن الرجل يفتري على ابيه ويدعو على والديه ويفرح بموتهما، ورأيت الرجل اذا مر يوم ولم يكسب فيه الذنب العظيم من فجور، أو بخس مكيال، أو ميزان، أو غشيان حرام، أو شرب مسكر كئيباً حزيناً يحسب ان ذلك اليوم شؤم عليه وضيعة من عمره، وإذا رأيت السلطان يحتكر الطعام، ورأيت أموال ذوي القربى تقسم في الزور، ويتقامر بها، ويشرب بها الخمور، ورأيت الخمر يتداوى به ويوصف للمريض ويستشفى به، ورأيت الناس قد استووا في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك التدين به، ورأيت رياح المنافقين واهل النفاق دائمة، ورياح اهل الحق لا تتحرك، ورأيت الاذان بالأجر، والصلاة بالأجر، ورأيت المساجد مملوءة بمن لا يخاف الله

مجتمعين فيها للغيبة، واكل لحوم اهل الحق، ويتواضعون فيها على شرب المسكر، ورأيت السكران يصلي بالناس، وهو لا يعقل ولا يشان بالسكر، واذا سكر اكرم واتقي وخيف وترك ولا يعاقب ويعذر بسكره، ورأيت من اكل اموال اليتامى يحدث بصلاحه، ورأيت القضاة يقضون بخلاف ما امر الله، ورأيت الولاة يأتمنون الخونة، ورأيت الميراث قد وضعته الولاة لأهل الفسق والجرأة على الله يأخذون منهم ويخلونهم وما يشتهون، ورأيت المنابر يؤمر عليها بالتقوى، ولا يعمل القائل بما يأمر، ورأيت الصلوات قد استخف بأوقاتها، ورأيت الصدقة بالشفاعة لا يراد بها وجه الله، وتعطى لطلب الناس، ورأيت الناس همهم بطونهم وفروجهم، لا يبالون بما اكلوا وما نكحوا، ورأيت الدنيا مقبلة عليهم، ورأيت اعلام الحق قد درست، فكن على حذر واطلب النجاة، واعلم ان الناس في سخط الله عز وجل، وانما يمهلهم لأمر يراد بهم، فكن مترقباً واجتهد ليراك الله عز وجل في خلاف ما هم عليه، فإن نزل بهم العذاب وكنت فيهم عجلت إلى رحمة الله، وان اخرت ابتلوا وكنت قد خرجت مما هم فيه من الجرأة على

الله عز وجل، واعلم ان الله لا يضيع أجر المحسنين وان رحمة الله قريب من المحسنين.

المحتويات

مقدمة الطبعة الثانية ٥

مقدمة الناشر ٩

اسمه ونسبه: ١٢

لقبه: ١٢

ولادته: ١٣

سماته: ١٣

أشهر أصحابه: ١٣

لماذا خص الامام جعفر بن محمدبعنوان المذهب الجعفري دون غيره من الأئمة وكلهم على مبدأ واحد..... ١٥

الإمام الناطق ذو الزمام السابق أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام ١٧

العلوم التي تكلم بها الناطق الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام .. ٢٧

رواة الصادق عليه السلام وتلاميذه..... ٣٩

الصفة الثانية ذو الزمام السابق ٦٧

المحتويات ٨٥